قصص وعبر

دون تعقيد

كُلٌّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى
وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ
وَالإِكْرَامِ

نبيلة بوكحيل

دون تعقيد

نبيلة بوكحيل

دون تعقيد

قصص وعبر

الإهداء

إلى كل شخص من ذوي الهمم

مؤمن بقوته، ومتمسك بأحلامه، وعلى ثقة بأن الله لا يخلق شيء ناقص، وعلى ثقة بنفسه.

المقدمة

يسرني أن أستفتح كتابي بنصيحة من أروع النصائح التي تلقيتها في حياتي، والتي كانت من عند شيخ لا أعرف اسمه ولا أذكر من شكله غير عينيه اللتان كانتا كمثل البحر زرقة واتساعا، سألني بعد حوار قصير دار بيننا إن كنت قد زرت آثار تيمقاد ؟

أجبته:

_ لا، لم أفعل.

فسألني مستنكرا:

_ ألا ترغبين في ذلك؟

قلت:

_ أرغب في ذلك، لكن لم أجد الفرصة المناسبة بعد، سأزورها يوما ما.

قال:

_ إدا أردت فعل شيء ما أفعليه اليوم قبل الغد، يوما ما قد لا يبقى لك أثر ها هنا، يوما ما قد يفوتك الأوان، يوما ما ستتمنين لو يعود بك الزمن إلى يومك هذا.

الحياة رحلة قصيرة، لا تأجلي سعادتك لوقت لحق، لا أحد يعلم متى ستكون خطوته الأخيرة، فلا الشمس ستقول لك أن هذا هو الغروب الأخير، ولا سجادة صلاتك

ستنبئك عن ركعتك الأخيرة، ولا جدك العزيز سيقول لك احضنيني بقوة أن هذا هو الحضن الأخير.

وبعد عدة تجارب أكدت لي صحة كلامه قررت أن أجعل أول قانون في دستور حياتي هو قانون عدم التأجيل.

وأهم ما يجب المسارعة لفعله هو تحديد أهداف نعيش من أجلها وأسس ومبادئ نعيش عليها

الأرملة السوداء

تقول إلينا في أخر رسالة لها إلى سيادة القاضية:

" تعرفت على كينان بالصدفة في أول يوم لي بالجامعة، وأحببته من النظرة الأولى، قضينا أوقات ممتعة، جذبني اهتمامه الكبير بكل ما يخصني، لم يكن يتأخر في الرد على مكالماتي، ولم يضيع ولا مرة فرصة تناول الفطور برفقتي، وكان يساعدني في إنجاز بحوثي رغم انشغاله بتحضير مذكرة تخرجه.

كنت حينذاك ضائعة وعاجزة عن تصنيف هذا النوع من الاهتمام، لم يقل أنه يحبني، ولا حتى أنني أعجبه، لم يقل ولا مرة أنه مشتاق لي، أحسست أنه حب من طرف واحد وعليا الانسحاب لكن فشلت في ذلك.

مر الوقت بسرعة وقام بدعوتي لحفل تخرجه، اعتقدت أنها النهاية، لكن كانت تلك هي بداية حياتي الجديدة، أعلن كينان عن حبه لي أمام الجميع، وتقدم لخطبتي بعد ذلك بأسبوع، وافق أبي بشرط أن أكمل دراستي، ويوفر كينان منزل خاص لنا، وتزوجنا بعد خطوبة دامت أكثر من ثلاثة سنوات.

من غير مبالغة كنا أسعد ثنائي على وجه الأرض، رسمنا أحلامنا المشتركة، اختلفنا في وجهات النظر، تجادلنا، تصالحنا...عشت حياة أحمد الله عليها في كل صلاة، احترمته كشيء مقدس، أحببته كما لم أحب من قبل، وثقت به أكثر من نفسي.

بعد فترة من زواجنا ساعدني في فتح مشروع خاص بي _ مقهى نسائي يقدم الكعك، والحلويات التقليدية_ حقق المشروع نجاح كبير حيث توافدت السيدات والفتيات من مختلف الأعمار على المقهى، وأصبحت علاقتي جيدة بهن. معظمهم كانوا يشتكين من خيانة وغدر أزواجهم، وسوء معاملتهم، وكنت أستاء وأحزن لأجلهن، وأفتخر بحب كينان وطيبة أخلاقه.

ومن بين زبوناتي امرأة جميلة جدا _ في الثلاثينات من عمرها_ لا تفارق الابتسامة ثغرها، شخصيتها مرحة ولطيفة، كانت تأتي في كل صباح وتطلب حلوى بنكهة الفانيلا وكوب من الكابتشينو برغوة كثيفة من أجل زوجها، حتى أنني اعتدت على ذلك وأصبحت أحضر طلبها قبل أن تصل.

وفي احد الأيام جاءت للمقهى، جلست على كرسي أمام النافذة، وكانت منهارة تماما، تنهمر الدموع من على وجنتيها دون توقف. لم أستطيع التحمل اقتربت منها وسألتها:

_ ماذا حدث؟ لماذا تبكين؟

أجابت بعد صمت طويل:

_ زوجي يخونني.

عجزت عن إيجاد الكلمات المناسبة لمواساتها، أحضرت لها كوب ماء ومناديل ورقية وجلست بجانبها، وبعد أكثر من ساعة وضعت نضارتها الشمسية، وحملت حقيبتها، وقالت لي:

_ لا تثقي بأي شخص أكثر مما يجب.

ثم غادرت

بقيت هذه العبارة عالقة في ذهني، واجتاحني حزن ثقيل، وشك في كل من حولي، فأنشأت حساب مزيف على الفايسبوك، وأرسلت طلب صداقة لكينان، وافق على الفور وطلب أن أعرفه بنفسي، قلت أن اسمي سارة وعمري ثلاثة وعشرون سنة، وأنني معجبة به كثيرا ولم أعد أستطيع إخفاء الأمر. سألني:

_ هل تعلمين أنني متزوج؟

أجبته:

_نعم أعلم ذلك. وهذا يآسفني.

قال:

_حدثيني عنك أكثر.

أبدعت له شخصية مثالية: ناجحة، قوية، لها الكثير من الهوايات، جميلة ومرحة...

كنت أقرأ رسائله ودقات قلبي تكاد تتوقف، خابت توقعاتي به، شعرت بصدمة كبيرة.

وعندما عاد في المساء للمنزل، قال أنه متعب ويريد النوم، لم يسأل كيف قضيت يومي كعادته، لم يتناول العشاء معي، ولم يسرق وسادتي كما يفعل في كل ليلة.

مر أسبوع شعرت فيه أن ثقل العالم على صدري، كان كينان يبتعد عني ويتقرب من شخصية سارة، حتى أنه قال في أحدى الرسائل أنني أصبحت مملة جدا ونكدية ولم يعد يشعر بالسعادة معي، وبعد محادثات طويلة طلب أن أرسل له صورة، فأرسلت له صورة فتاة جميلة، توافق المواصفات التي ذكرتها له مسبقا، لم تكن معروفة لكن كانت تضع صورها على مواقع التواصل، أعجب بها ووصفها بأجمل العبارات.

بدأت أشعر يوما بعد يوم بالغيرة من شخصيتي المزيفة، كرهت صاحبة الصورة رغم أنها لم تفعل شيء، وكرهت نفسي وكينان وكل من حولي، أدركت حينها حجم غبائي وسذاجتي، وأصبحت أرى العالم من زاوية مظلمة ومخيفة.

بعد عدة أيام كتبت له:

_ أريد أن نطور علاقتنا، هل يمكن أن نلتقي؟

رد:

_ بالتأكيد أنا أنتظر لقائك بشوق، لكن أتمنى أن يكون ذلك بمنزلي إن لم تعارضي، وسأحدد الموعد المناسب.

وفي عطلة نهاية الأسبوع إستيقظ في وقت متأخر، قدمت له الفطور وقلت:

_ سأذهب اليوم لزيارة عائلتي، وارجع بعد العشاء.

ابتسم حتى بدت نواجده وقال:

_ بالطبع، يمكنك الذهاب يا عزيزتي.

سألته:

_ هل تريد أن أحضر لك شيء للغداء؟

أجابني:

_ لا، سأطلب وجبة جاهزة، لكن أريد منك تحضير كعكة لصديقي، ويسرني وأن تكتبين عليها أنا أحبك يا سارة.

ثم ابتسم وقال:

_ سارة حبيبته، أنه يجهز لها مفاجأة كبير اليوم.

كتمت غيضي وقلت:

_ حسنا، كما تريد.

وبعد أن حضرت الكعكة، ووضعت عصير البرتقال في الثلاجة، خرجت مسرعة من المطبخ، التقيت كينان بالباب نظرت بعينيه طويلا ثم قلت:

_ إلى اللقاء.

سألني وأنا انزل الدرج:

_ ماذا تفعلين لو خنتك؟

أجبته ببرود:

_ أقتلك

اتجهت نجو سيارتي وما إن ركبت حتى وصلتني تسجيل صوتي من كينان لحسابي المزيف قال فيه:

_ أخيرا سنلتقي أنتظرك على الغداء في المنزل.

أغلقت الهاتف ووضعته في الحقيبة وسرت حيث لا أدري، وعندما عدت في المساء وجدت رسالة من كينان معلقة على الباب، كان قد كتب فيها:

_ أعلم أنك أنت من كانت تراسلني، لقد نسيت أن إخفاء رقم هاتفك من الحساب، تأكدي من الأمر، وفي المرة القادمة خططي جيدا.

حضرت لك كل ما تحبين للغداء، كنت أعتقد أنك ستأتين لمواجهتي وإمساكي بالجرم المشهود، لكن لم تفعلي. تصرفاتك جرحتني كثيرا تستحقين هذا المقلب الصغير، كيف تشكين في حبي لك أيتها المجنونة؟ لا يمكن أبدا أن أخونك.

علي الذهاب أرك مساء.

تأكدت من الحساب فوجدت أن رقمي غير مخفي.

استطعت التنفس من جديد.

ثم تذكرت أنني قد وضعت السم في الكعك والعصير، ركضت نحو المطبخ فوجدته قد أكل منه.

حاولت الاتصال به عدة مرات، لكن كان هاتفه مغلق، اتصلت بأصدقائه وزملائه في العمل دون جدوى، وبعد دقائق قليلة ورد اتصال في الهاتف الثابت، كانت امرأة سألتني:

_ أنت زوجة السيد كينان

أجبت:

_ نعم، أنا زوجته

فقالت:

_ زوجك انتقل لرحمة الله.

توقفت كل حواسي عن العمل، مررت بفترة عصيبة. وبعد أن خضعت الجثة لتشريح فتح تحقيق في قضية مقتله، كانت أصابع الاتهام تشير لشخص واحد زميل له في

العمل كانت بينهما خلافات سابقا، وعدتني المحامية بأن تجعله يقضي أقصى عقوبة، أصدر بحقه السجن لمدة خمسة وعشرون سنة.

كان يجب أن أرتاح من ذلك الحزن والألم وعذاب الضمير. "

وكتبت في نهاية الرسالة: عندما تقرأين هذا سأكون بجوار كينان فأدعي لنا بالرحمة.

من أجل أن تعيش مستقر

خذ ما ينفعك

لا بأس أن تختار قدوة لك في الحياة، وأن تستفيد من تجارب غيرك، وأن تقبل النصيحة، لكن احرص أن تأخذ ما يفيدك فحسب، فظروفهم تختلف عن ظروف _ ما نفعهم يمكن أن يضرك وما ضرهم يمكن أن ينفعك _

أذكر أني قرأت على إحدى صفحات الفايسبوك قصة كان لها علي تأثير اجابي كبير.

تقول القصة أن " فلاحا كان يمتلك حمارين، قرر في يوم من الأيام أن يحمل على أحدهما ملحا وعلى الآخر صحونا وقدورا.

انطلق الحماران بحمولتهما... وفي منتصف الطريق شعر الحمار المحمل بالملح بالتعب والإرهاق، حيث أن كمية الملح كانت أكثر وأثقل من القدور الفارغة، بينما كان حامل القدور سعيدا بحمولته حيث كانت أقل وأخف، على كل حال قرر الحمار حامل الملح من شدة الإعياء أن ينغمس في برك من الماء كانت بجوار الطريق كي يستعيد قواه التي خارت من وطأة الملح، فلما خرج من البركة شعر كأنه بعث حي من جديد، فقد ذاب الملح في البركة وخرج نشيطا كأن لم يمسه تعب من قبل، فلما رأى حامل القدور ما نزل على صاحبه من نشاط قفز بدوره في البركة لينال ما نال صاحبه، فامتلأت القدور بالماء فلما أراد أن يخرج من البركة كأن ظهره أنقسم قسمين من وطأة القدور المحملة بالماء.

فكر بذكاء

لديك عقل، إذا استعمله، ولا تسمح لأي أحد أن يزرع أفكاره في داخلك، لست قطعة أرض كن أنت صاحب الفكرة.

كن متوازن

كن متوازن في توقعاتك، وفي مشاعرك، وفي تصرفاتك.

حافظ على سعادتك

المحافظة على السعادة أصعب من الحصول عليها، فيمكن أن تصل لكل أحلامك وتحقق ما كنت تسعى إليه، ويمكن أن تفاجئك الحياة بشيء أجمل مما توقعت، وفجأة تخسر كل شيء .

_ حافظ على أشيائك الجميلة جيدا

_ التعبير عن المشاعر الجميلة يحفظ الود.

_ الصدقة والزكاة تحفظ المال.

_ شكر الله والتقرب إليه يحفظ النعم.

_ عليك بالصلاة، والصوم، والتأمل، والرياضة، للحفاظ على صحتك.

_ كن مجتهدا ومثابر للحفاظ على نجاحك.

ما وراء سعادتك

أشرقت الشمس أخيرا، بعد عاصفة ثلجية مصحوبة برياح عاتية، دامت أسبوع كامل، فخرجت الغزالة ريمي وصغيرتها كيم من مخبأهما الدافئ الموجود بين أغصان أشجار السنديان المتلاحمة، للبحث عن الغذاء.

كانت كيم متشوقة لتكتشف هذه الظاهرة الطبيعية التي لم تمر عليها من قبل، فراحت تجري وتتمطى في أرجاء الغابة، وتقفز على أكوام الثلج المتساقطة من فوق أغصان الأشجار، ورغم أن أمها حذرتها، وقالت لها أن تصرفاتها هذه يمكن أن تلفت انتباه الحيوانات المفترسة، لم تسمع النصيحة، واستمرت في اللعب دون هوادة.

أما أمها فكانت مشغولة بالحفر في الثلج بقائمتيها للحصول على الأعشاب الطرية.

وخلال الظهيرة قرر أن تأخذ قسط من الراحة، فنادت على صغيرتها لتمنحها مكافئة لطيفة _ حليب طازج ودافئ يعطي جسدها الصغير بعض القوة _ ركضت كيم نحوها بسرعة، وبينما كانت تعلك الثدي الذي لم تترك فيه قطرة واحدة من الحليب، أصيبت أمها بسهم غادر في قائمتها الخلفية، نظرت الأم المسكينة لصغيرتها وهي تحاول إخفاء ألمها، وقالت:

_ أركضي بسرعة نحو المخبأ، ولا تنظري للخلف مهما حدث، وإياك والخروج من هناك.

وركضت هي في الاتجاه المعاكس حتى لا تعرضها للأذى.

كان الصياد ممسك بطرف الخيط _ أثار دمائها على الثلج _ وعلى يقين أنها لن تركض طويلا بسبب جرحها.

وبالفاعل ذلك ما حدث تماما، فقدت ريمي قواها، ولم تعد قادرة على الجري، فأسندت ظهرها على أحد الصخور واستسلمت لمصيرها الحتمي، لكن لحسن حظها بدأت الثلوج تتساقط بغزارة، وغطت جميع أثارها، وبعد فترة من الراحة توقف جرحها عن النزيف، وعادت لمخبئها لتجد صغيرتها في انتظارها بشوق، وبعد أن نجحت كيم في أول تحدي لها من أجل البقاء استمتعت بنوم هادئ وهي وولدتها.

أما بنسبة للصياد الصغير فلم يحظى بنفس النهاية السعيدة، فها قد بدأ الظلام الغاشم يحتل الشفق الوردي وخيم الصمت الخانق على الغابة عدا عواء الذئاب الجائعة وصوت الثلج المتراص تحت نعله وما زال لم يوفق في صيد شيء، فما كان عليه إلا أن يعود لكوخه يجر أذيال الخيبة... أزاح الثلوج المتراكمة أمام الباب، ودلف لداخل، وبعد أن نزع حذائه وعلق معطفه المبلل، أسرع ليطمئن على والده الذي تركه في حالة سيئة، بسبب إصابته بحمى وصلت به إلى حد الهذيان، وما زاد الأمر سوء عدم توفر شيء يمكن أن يسد به رمقه، وكل الطرق المؤدية للمدينة كانت مغلقة.

جثا الطفل على ركبتيه أمام السرير، ووضع يده على جبين والده المتوهج، وقال والدمع المترقرق في عينيه يذيب الثلج الملتصق بأهدابه الطويلة وينهمر على وجنتيه الورديتين:

_ أنا آسف يأبي. لقد كنت دائما توفر لي ما أحتاج إليه مهما كانت الظروف، أما أنا فعجزت عن مساعدتك، وها قد فشلت في الصيد مرة أخرى. أنا حقا آسف.

رد والده بصوت مبحوح:

_ لا عليك يا صغيري، ما زال أمامك الكثير لتتعلمه.

لمعت عينا الطفل وهو يقول:

_ كدت أن أمسك بغزالة، كانت ترضع صغيرها ولم تنتبه لوجودي، أصبتها إصابة بالغة، ورغم أنها اختفت عن نظري تتبعت أثار دمائها، لكن لسوء حظي بدأت الثلوج بالتساقط وأفلتت مني.

مسح الأب على رأس ابنه وقال:

_ هذه هي الحياة. سبب سعادتك قد يكون هو سبب تعاسة غيرك، فلو أنك نجحت في صيدها كنا نحن الآن نستمتع بالشواء، أما صغيرها فسيموت من الجوع، المصالح دائما تتقاطع لذلك لا سبيل للسعادة إلا إذا اقتنعنا بهذا المبدأ، ورضينا بما قسمه الله لنا.

عادت الابتسامة أخيرا لثغر الصياد الصغير، وسأل والده:

_ هل أحضر لك كوب من حساء الشكولاطة الدافئ؟ فهذا كل ما نملكه الآن.

أومأ الأب برأسه وقال:

_ أنا أحبه كثيرا.

القناعة

السعادة مرتبطة بتحقيق أكبر قدر ممكن من المصالح، ومصالح الأفراد متعارضة، فالهدف الذي تبذل جهدا كبيرا لتحقيقه يوجد من ينافسك عليه، وهو يبذل نفس الجهد في سبيل ذلك، ولكن في النهاية سيكون هناك فائز واحد، والأمر الذي ينفعك قد يضر غيرك، فمثلا: نجاح فريقك المفضل تنتج عنه خسارة مريرة لفريقي، وسبب حصولك على وظيفة رائعة هو: ترد تلك الموظفة التي تأخرت عشر دقائق على اجتماع مهم، ونزول قيمة سلعة معينة في السوق خسارة للمنتج وربح للمستهلك _ في الغالب نجاح غيرك خسارة لك، ونجاحك خسارة لغيرك _ إذا فمن المستحيل أن تملك كل ما تريده في هذه الحياة، لكن يمكن أن تكون سعيد جدا إذا اقتنعت بما تملك.

كلنا نخسر أشياء ونكسب أشياء، لكن هناك من يعيش مستمتع بما كسبه، وهناك من يقضي عمره يتحسر على ما خسره. وأنت ماذا ستختار؟

عطاء وجزاء

يحكى أن عصفورة كناري جميلة، كانت تعيش على أعلى غصن من شجرة التين الشامخة، وكان لها جار من نفس فصيلتها يعيش أسفل منها، وكان يحبها كثيرا ويقدم لها المساعدة عند الحاجة وينشد لها أشجى الألحان.

وفي أحد الأيام عرض عليها أن تكون شريكة حياته، فقالت له بسخرية وهي ترفرف بجناحيها متباهية بريشها الأحمر الفاتن:

_ كيف أمكنك التفكير بهذا؟ ألا ترى الفرق بيني وبينك؟ لا يمكن أن أنزل من أعلى غصن إلى أسفل غصن أنا أجمل عصفورة في المنطقة وأستحق الأفضل وأنت تعلم هذا جيدا.

حزن العصفور كثيرا وعاد لعشه مكسور الخاطر.

وبعد فترة تقدم طائر الحسون لخطبتها فقالت له:

_ لا أنكر أنك وسيم وألوان ريشك جذابة جدا، وصوتك كذلك لكن هذه الصفات يمكن أن أجدها في غيرك. فما هو الشيء المميز الذي سيجعلني أوافق أن أكون شريكتك؟

قال لها :

_ لن تجدي أفضل مني. أنني أعيش بكل عز في حديقة الملك يقدم لي أجود أنواع الغذاء وأملك أقفاص فاخرة ينظفها الخدم وينقلونها من شجرة إلى أخرى حسب ما

يناسبني مقابل أن أطرب المكان بصوتي العذب في كل صباح، وأمتلك حريتي التامة باقي اليوم.

بعد أن سمعت العصفورة هذا الكلام وأفقت على الفور، وغادرت عشها برفقته، وعاشت أيام سعيدة جدا في حديقة الملك، لكن عمر سعادتها كان قصير ففي أحدى الليالي حين كانت نائمة بعمق داخل القفص، شب حريق مدمر في الحديقة، وتسبب في حرق ريشها الجميل وحتى بعض المناطق من جلدها.

اعتنى بها الحسون في الأيام الأولى، لكن سرعان ما مل منها واعتبرها حمل ثقيل، وأصبحت له العديد من الصديقات اللاتي يأتي بهن للحديقة ويخرج برفقتهن دون أن يبالي بمشاعر زوجته المرمية في القفص من غير حول ولا قوة.

أما الكناري فقد حزن كثيرا لما سمع بما حدث لها وقرر زيارتها، ولما رآها في تلك الحالة السيئة عرض عليها المساعدة، وأخذها لعشه الصغير، اهتم بصحتها وغذائها حتى أنه أحيانا كان يقدم لها القوت الذي تمكن من توفيره ويبقى هو جائع، وسافر لمسافات بعيدة يبحث عن أعشاب مفيدة ليداوي بها حروقها. وبعد صراع طويل مع الألم استعادت العصفورة صحتها، وكسي جلدها بريش أحمر قاتم يخطف الأبصار، واستطاعت أن تحلق في السماء من جديد بكل حرية.

كان قلب العصفور ينبض فرحا لشفاء حبيبته، لكن عقله يعج بالكثير من الأسئلة التي لم يستطيع طرحها عليها. من بينها:

_ هل هذا حب أو مصلحة؟ وهل ستبقى أم تغادر؟ وهل سترد الجميل يوما أم تنكره؟

وكلما كان يعود للعش ويجدها في انتظاره يشعر باطمئنان وراحة كبيرة، وفي أحدى الليالي لم يجدها...انتظر لساعة متأخرة، لكن لم تعد...

وبعد أشهر طويلة من القلق وجدها برفقه زوجها تعلم صغارها كيف تحلق، وتصرفت كأن لم تعرفه من قبل، في ذلك الحين أخذ طائر الكناري الإجابة عن كل أسئلته.

إياك...

إياك أن تعطي قيمة لمن لا يستحقها.

إياك أن تسمح لأحد أن يستغلك.

إياك ترض بدور ثانوي، أنت تستحق البطولة.

إياك أن تكون هامشا في حياة أحدهم، إما أن تكون العنوان والفكرة الأساسية أو لا تكون أصلا.

إياك أن تقبل بأن تكون خيارا بديل، أو شيء مؤقت... إياك...ثم إياك أن تقبل بأن تكون شيء قابل لتغيير. أنت لست معطف، من لا يقدر وجودك اعتبره غير موجود.

أصابني السهم الذي رميته...

في أحد أيام الخريف، وعندما كنت أتمشى على الشاطئ مستمتع بمراقبة الطيور المهاجرة وهي تعانق الشفق الأحمر، لحظت زجاجة تتلاعب بها الأمواج الخفيفة، ترمي بها تارة وتحتضنها تارة أخرى.

اقتربت وحملتها، كانت محكمة الإغلاق وبداخلها ورقة ملفوفة ومربوطة بشريط أحمر، فتحتها وأخرجت الورقة بعناية حتى لا أتسبب في تمزيقها.

لقد كانت رسالة مؤرخة في 11 يونيو 1994 ميلادي، كتب فيها:

" إلى الشخص الذي يقرأ رسالتي الآن: لا تجعلها تتوقف عندك.

أما بعد:

أنا بهار، والجميع يعرفني باسم باربي، بعد تخرجي بدأت العمل كمقدمة برامج في الإذاعة المحلية التابعة للولاية، وأصبحت في فترة وجيزة المذيعة الأكثر شعبية، وعندما بلغت السادسة والعشرون من عمري تزوجت من يامان _ رجل أعمال ناجح يكبرني بعشر سنوات _ ورغم فارق السن عثرت فيه على كل الموصفات التي كنت أبحث عنها، فهو شخص متفهم، وسيم جدا وظروفه المادية ممتازة، كانت علاقتنا مستقرة رغم أنني رفضت الإنجاب هروبا من مسؤولية الأمومة الثقيلة

ورغم أن عائلتي سافرت بعد زواجي للخارج لم أكن أشعر بالوحدة، فقد كنت أقضي وقت رائع رفقه زملائي في العمل ومتابعي الأعزاء، ومن أكثر البرامج التي

كنت أستمتع بتقديمها البرنامج الأسبوعي " هذه قصتي " الذي نعرض فيه تجارب فاشلة، ونحاول معرفة الأسباب وإيجاد الحلول المناسبة لها، من خلال المناقشة مع المستمعين عن طريق مداخلتهم الهاتفية.

كانت تصلني يوميا الكثير من المكالمات والرسائل من أشخاص يرغبون في مشاركة تجاربهم، أحيانا حين أعود متعبة للمنزل يساعدني يامان في تحديد الموضوع، حيث يختار القليل من القصص من بين الكثير منها ليسهل علي الاختيار النهائي. وفي أحدى المرات اختار قصة واحدة فقط، وقال لي:

_ أعتقد أن هذه تستحق المناقشة.

كانت قصة فتاة اسمها ميرا، تم عقد قرانها قبل أربع سنوات على شاب، منعها من العمل والخروج من المنزل إلا إذا كانت برفقة أمه، وكان السبب في قطع علاقتها بجميع صديقاتها، مع هذا كانت متمسكة بحبه، وقبل حفل الزفاف بأسبوع قرر أن يفسخ عقد زواجه بها ، فتسبب لها ذلك بحالة اكتئاب، وفقدت ثقتها بنفسها وبمن حولها. وقالت في رسالتها أنها تبحث عن صداقة حقيقية تساعدها على تجاوز الحزن الذي تمر به.

عرضت قصتها وكانت من بين الحلقات الأكثر نجاحا، حيث لقيت تفاعل كبير من الجمهور.

اتصلت بي ميرا في اليوم التالي، شكرتني، وقالت أنها عثرت على صديق وقد أخذ معلوماتها الشخصية من الإذاعة.

قلت لها أنه لم يأخذها مني، ربما أخذها من أحد زملائي. وبقيت على تواصل معها وتعرفت عليها شخصيا.

وبعد فترة أعدت الاتصال بها، وسألتها عن أحوالها وعن علاقتها بصديقها الجديد، تحدثت عنه بكل حب ووصفته بأجمل العبارات، شعرت بسعادتها الكبيرة وهي تحكي عن كل لحظة قضتها برفقته. لم يعد حبها له أمر يمكن إخفاءه، سألتها:

_ أنت تعشقينه أليس كذلك ؟

أجابتني:

_ نعم. لكن لم أعترف له بذلك بعد.

شجعتها بقوة على التقرب منه، أخبرتني كذلك أنه يريد أن يلتقي بها ليخبرها بشيء مهم، تحمست أكثر منها، لقد كانت فتاة لطيفة وتستحق كل الحب والاحترام.

وبعد أيام جاءت لزيارتي وكانت حزينة جدا، سألتها:

_ ماذا حدث معك؟ هل هناك مشكلة؟

أخرجت زفير قوي ثم أجابت:

_ إنه متزوج.

قلت مستفهمة: من الرجل الذي حدثتني عنه؟ لماذا لم يخبرك منذ البداية؟ يا له من أحمق.

قالت مبررة موقفه:

_ كان يبحث عن من يشعر بوجوده، ويقدر مشاعره، ويشاركه تفاصيل حياته، وخشي أن أرفض صداقته.

قلت:

_ هذا يعني أن علاقته بزوجته سيئة.

أومأت برأسها وقالت:

_ أخبرني أنه يشعر أحيانا أنها شريكته في السكن لا أكثر، لا تكترث لأمره، ولا تعطي علاقتهما أي اعتبار.

قلت لها:

_ إذا هي تستحق أن يخونها.

وسألتها:

_ وهل صارحته بما تشعرين نحوه؟

أجابت بصوت مبحوح:

_ بالطبع لم أفعل، لقد نصحته بمحاولة تصليح علاقته بزوجته.

صرخت في وجهها:

أنت مجنونة؟ ليس عليك التفكير بالجميع، فكري بمصلحتك، إن تركته حتما سيبحث عن صديقة أخرى.

قالت وهي تجفف دموعها:

_ ماذا أفعل مع رجل متزوج؟ سأدمر حياتي أكثر.

قلت بهدوء وأنا أقدم لها فنجان القهوة:

_ أهتمي به فحسب وستجري كل الأمور لصالحك.

ونصحتها أن تفكر جيدا قبل أن تتخذ أي قرار.

مرت فترة طويلة دون أن نتواصل، بسبب انشغالي الدائم خاصة بعدما عرض عليا العمل في قناة تلفزيونية، كنت سعيدة جدا حينذاك، إلي أن فاجأني يامان بزيارة غير متوقعة في مكتبي، وقال دون مقدمات:

_ أريد إنهاء علاقتي بك، لست سعيد بوجودك بحياتي.

كنت أنتظر أن يضحك ويقول إنها مزحة، لكن كانت ملامح وجهه جدية لأقصى حد، تلقيت صدمة لم أكن أتوقعها عجزت أن اسأله عن الأسباب، فقط قلت له:

_ إذا كان هذا ما تريد فحسنا.

قال وهو خارج من المكتب وكأنه يهرب من النظر لوجهي:

_ أتمني أن ينتهي كل شيء بسرعة.

تم الطلاق بيننا بالتراضي، تركت كل شيء ولحقت بعائلتي، فطالما آمنت بمقولة دوستويفكسي: " لا يمكنك أن تشفى في نفس البيئة التي مرضت فيها. غادر " حاولت بناء حياة جديدة لكن فشلت، شغلت نفسي بكل شيء عن كل شيء يؤلمني دون فائدة، زاد الأمر سوء يوما بعد يوم، إلى أن قرأت مقولة جلال الدين الرومي " هروبك مما يؤلمك سيؤلمك أكثر، لا تهرب، تألم حتى تشفى " فقررت حينها العودة، استأجرت شقة، ووافقت على عرض العمل في محطة التلفزيون بشرط أن أكمل عملي كمذيعة، فرح زملائي كثيرا بعودتي ووجدت الكثير من الرسائل في انتظاري، من بينها رسالة من ميرا، قالت لي فيها:

_ لقد عملت بنصيحتك والآن أنا امرأة متزوجة وسعيدة جذا. شكرا لك على كل شيء، وتشرفني زيارتك. هذا عنواني الجديد...

كادت دقات قلبي تتوقف حين قرأت العنوان. أنه عنوان منزلي، أو بعبارة أصح عنوان طليقي.

قررت أن أزورها وأواجه نقاط ضعفي بكل قوة، طرقت الباب الذي كنت أملك مفتاحه، وجلست بغرفة الضيوف في نفس المكان الذي كنت أستقبل فيه الأشخاص الغرباء. لم يتغير شيء بالمنزل ما زالت تلك اللوحة الجميلة بمكانها أذكر أنني تعبت كثيرا في تعليقها، ما زالت الستائر نفسها ونفس السجاد، ما زال كل شيء كما كان، لكن هناك عطر مختلف كاد أن يخنق أنفاسي، تذوقت طعم الغربة كما لم أتذوقه في أبعد بقاع العالم.

خرجت بعد أن انكسر قلبي، لكن هذا ما كان يجب أن يحدث.

لو أنني نصحتها بمحاولة تحسين الأمور بينهما ما كان كل هذا ليحدث لكنني تصرفت بأنانية، لم أتخيل ولو للحظة أن تلك المرأة التي كنت مصرة على تدمير بيتها هي أنا.

لكل من وقعت رسالتي بين يديه عليك أن تعلم: إذا سرقت سعادة غيرك راقب سعادتك جيدا... فسيأتي من يسرقها وحتما سينجح في ذلك. "

أعدت لف الرسالة، ووضعتها داخل الزجاجة، ورميت بها في البحر لتكمل رحلتها.

عليك أن تعلم...

عليك أن تعلم أنك لست الأناني الوحيد، فالأنانية موجودة دخل كل شخص من دون استثناء، لكن حجمها يختلف حسب طريقة تفكيرك فأنت من تجعلها تزيد وأنت من تجعلها تنقص.

وعليك أن تعلم كذلك أنه لسبيل لي القضاء على الأنانية إلا إذا فكرت قبل أن تتصرف أي تصرف أن كل أنا هو الأخر بالنسبة لغيره، وكل أخر هو الأنا بالنسبة لغيره، أي أن غير هو أنا أخر، وإن كان من المستحيل أن تشعر بشعوره الداخلي فأنه من الممكن أن نفس الشعور قد مر بداخلك، فهو يكره، ويحب، ويتألم، ويحزن، ويفرح... مثلك تماما.

وأخيرا لا ترض لغيرك ما لا ترضاه لنفسك، ولا تهدم سعادة غيرك في سبيل بناء سعادتك وسعادة من تحب، وإياك أن تدس على أحلام غيرك حين تركض نحو أحلامك.

ليس كل ما يلمع ذهبا

مريم فتاة فائقة الجمال، توفي والدها وكفلها عمها، ومنحها كل ما تحتاج من العطف والرعاية، ولم يكن هو الوحيد الذي فاض فؤاده بحبها، بل أن كل من عرفها حمل لها الود والتقدير، لطيبة قلبها ودعمها ومساعدتها للجميع، فكانت مصدر فجر عمها على عكس ابنته ماريا الفتاة القبيحة سيئة الطباع، والتي لم تكن ممن يتشكرون معروف أو يتذكرون صنيعا طيبا لأحد، كل ما كان يشغل بالها العناية بمظهرها، وكانت تغار كثيرا من مريم وتحمل لها كرها شديدا، وتوقع بها دائما في المشاكل.

• • •

مرت الأيام وزادت الخلافات بين مريم وماريا، خاصة بعدما قام الملك ووزيره الشاب الوسيم الذي تنطبق عليه مواصفات فارس أحلام الكثير من الفتيات، بزيارة بعض أهالي البلدة لمعرفة احتياجاتهم، فتعرف الوزير على مريم آنذاك وأعجب بها بشدة، واتفق مع عمها الإعلان خطبتهما بعد فترة وجيزة، فأثار هذا الأمر جنون ماريا، وأشعل لهيب الحقد في قلبها، فلم تعد غيرتها تخفى على أحد.

• • •

وقيل إن هذه العائلة كانت لهم خادمة فاتنة الجمال، لكنها خبيثة وماكرة واستغلالية، عرفت أن هذا هو الوقت المناسب لتستغل نقطة ضعف ماريا، فقالت لها شاكية سوء معيشتها:

_ آه من الأيام لقد أخذت وقوتي، وصحتي، وأصبحت غارقة في الديون.

صاحت الفتاة في وجهها:

_ وما دخلي بهذا؟

قالت الخادمة:

_ ألن تساعديني؟ أنا بحاجة لمبلغ كبير من النقود.

ضحكت ماريا بصخرية وردت:

_ بالطبع، لا.

لم تكن الخادمة تتوقع منها غير هذا الرد، لكن كانت تعلم جيدا كيف تقلب الأمر لصالحها. فقالت وهي تقترب منها:

_ وماذا يكون جوابك إذا أخبرتك سرا يغير حياتك، ويجعلك أجمل فتاة في البلدة لا بل في جميع أنحاء المملكة؟

وقفت ماريا من مكانها واتسعت حدقتا عينيها وأعادت كلام الخادمة بتمعن:

_ سر يجعلني أجمل فتاة في البلدة؟

ثم دنت منها وهمست في أدنها:

_ إذا غيرت رأيي ما الذي يضمن لي صدق كلمك.

طبعت الخادمة ابتسامة ماكرة على وجهها وقالت:

_ لو لم أكن واثقة ما كنت لأعرض عليك هذا الاتفاق. وأردفت إن كنت ترغبين في معرفة المزيد قابليني غدا صباحا، وأخضري معك ما يلزمني.

• • •

جلست الفتاة في تلك الليلة لساعات طويلة أمام المرآة، تنظر تارة إلى البثور المتناثرة على وجهها وإلى شعرها المتقصف، ولون شفاهها الباهت، وتارة أخرى ترمق مريم التي كانت تغط في نوم عميق بنظرة شيطانية.

وفي الصباح الباكر ارتدت معطف الفرو الخاص بها، ووضعت في جيبه الكبير عقد الذهب الذي تركته لها والدتها قبل موتها، وخرجت بهدوء، لتجد عربة مربوطة بزوج من الأحصنة بالقرب من المنزل، أطلت الخادمة من خلف الستائر الحريرية ولوحت لها بيدها، ركضت ماريا نحوها بسرعة وما إن ركبت حتى سألتها:

_ إلى أين سنذهب؟ وما هو هذا السر؟

ردت الخادمة على أسئلتها بسؤال:

_ وماذا أحضرتي معك؟

أخرجت ماريا العقد من جيبها، فشهقت الخادمة عند رؤيته واتسعت عيناها على وسعها، وانقضت عليه بقبضتها، ووضعته في حقيبتها، وأخرجت شريط أسود، وقالت:

_ يجب أن أعصب عيناك، كي لا تعرفي المكان الذي سنذهب إليه.

صرخت ماريا في وجهها:

_ أتمزحين وعدتني ب...

قاطعت الخادمة كلامها قائلة:

_ لا تقلقي، سأخبرك بما يفيدك، وأحتفظ بما يفيدني. وأردفت الآن فلتسمحي لي أن أربط لك هذا الشريط، إذا كنت لا تزالي ترغبين في معرفة السر.

وبعد أن تأكدت الخادمة من عدم قدرة ماريا على الرؤية، طلبت من السائق السير، وقالت:

_ في بلدة صغيرة شبه خالية من السكان، لها طريق سري لا يعرفه إلا القليل من المحظوظين أمثالي، يوجد نهر يعرف باسم نهر الفتنة تنقسم مياهه لنصفين نصف عذب صافي يجذب بلونه الأزرق الساحر كل من وقع نظره عليه، ونصف مالح عكر تنفر منه النفس، ورغم أنهما يجريان بمجرى وأحد لكنهما لا يمتزجان أبدا.

قالت ماريا وهي تلتفت يمينا وشمالا وتتحسس الأشياء من حولها:

_ لا تجعليني أفقد صبري أكثر، ما دخل هذا بالجمال؟

ردت الخادمة:

_ الماء العذب يسلب جمال كل من يشرب أو يغسل منه. أما الماء المالح فيمنح الجمال الفاتن.

سألتها الفتاة وهي تتلعثم:

_ هل... هل أنت متأكدة؟ أذهبت من قبل؟ يبدو الأمر خيالي.

ضحكت الخادمة وردت:

_ هكذا كانت ردة فعلي عندما سردت لي جدتي القصة التي غيرت مجرى حياتي، عن ملك لم يرزق بوريث لكن كانت له بنتان قرر أن يعين واحدة منهما كملكة من بعده حسب اختيار الشعب، وكانت البنت البكر فاتنة الجمال لكن شريرة ومنافقه تخدع الجميع ببرائتها المزيفة، على عكس البنت الصغرى، التي لم تكن جميلة أبدا، أما روحها فكانت طاهرة وطيبة، لكن لم تحظى بمحبة الشعب بسبب صراحتها، وبعدها عن التصنع، ورغم أن البنت الكبرى كانت متأكدة أن الجميع سيختارها إلا أنها قررت قتل أختها، باعتبار أنها الوحيدة التي تعرف وجهها الحقيقي، وهذا من شأنه أن يعكر صفو حياتها ويوقع بها في المشاكل، فكبلتها ورمت بها في النهر، وظلت تراقب موتها دون شفقة، وعندما همت بالمغادرة تعثرت ووقعت هي الأخرى وغرقت.

ومنذ ذلك الحين انقسمت مياه النهر إلى نصفين: نصف عذب جذاب لكنه مؤذي، والنصف الآخر عكر لكنه نافع.

ذهلت ماريا بما سمعته، وما كادت تصدق لولا أن الخادمة أكدت لها أن عمرها ستة وستون سنة وها هي تبدو بعمر الشباب.

• • •

وعندما وصولوا للبلدة اتجهوا للسوق حيث اشترت ماريا من أحد التجار جرتين لحمل الماء، وبعد أن دفعت له الثمن ابتسم وقال لها:

_ لم أرك هنا من قبل، لا شك أنك جئت تستقي من نهر الفتنة، أحذري أن يغريك، الجمال الحقيقي جمال الروح يا صغيرتي.

وعندما حملت الجرتين وهمت بالمغادرة، نادى عليها وقال:

_ نصيحة أخرى خذي بقدر ما تحتاجين فحسب حتى لا تثيرين غضب الطبيعة.

لم تعير ماريا كلام التاجر أي اهتمام، كان همها الوحيد أن تكون النتيجة تستحق ما فعلته حقا، وعند وصولهم نزلت للنهر وغسلت وجهها وأطرافها بالماء المالح، وملأت الجرة الأولى ونزعت شريط أبيض من ضفيرة شعرها وربطته عليها، ثم اتجهت للضفة العذبة وملأت الجرة الثانية، وطلبت من السائق حملهما للعربة، وما إن ركبت حتى أعادت الخادمة تعصيب عينيها.

ولما عادت للمنزل أخبرت والدها أنها ذهبت للتسوق رفقة الخادمة، وأعطت لمريم جرة الماء الغير مربوطة وقالت لها وهي ترسم ابتسامة مزيفة على وجهها:

_ لقد أحضرتها لك أتمني أن تعجبك، إن الماء عذب يمكنك شربه.

فرحت مريم بالهدية كثيرا، وما إن ذاقت الماء حتى سحرتها عذوبته، فما كاد يحل الليل حتى شربته كله.

• • •

استيقظت ماريا في صباح اليوم التالي على مفاجأة مذهلة، فكل البثور التي كانت على وجهها لم يبقى لها أثر، وأصبح وجهها مشرق كالقمر، وشعرها ناعم كالحرير،

كانت النتيجة أحسن بكثير مما توقعت، لم تسع الأرض فرحتها خاصة بعد رؤيتها لوجه مريم الشاحب والمصفر وعيناها المتورمتان.

مرت الأيام وزادت حالة مريم سوءا وانتشر الخبر في أرجاء البلدة، وسمع الوزير الخبر فجاء لزيارتها والاطمئنان عليها، فاستقبلته ماريا وحاولت إغواءه بشتى الطرق، ورغم أنه لحظ التغير الكبير الحاصل في شكلها لم يعر الأمر اهتماما كبيرا، فكل ما شغل باله حالة مريم، حيث وعدها بإحضار أحسن الأطباء لفحصها وأكد لها أن خطبتهما ستتم بعد يومين كما سبق تحديد الموعد.

جن جنون ماريا، وخاب ظنها، فذهبت مسرعة للخادمة، وقالت لها:

_ أريد الذهاب للنهر، هل يمكنك أخذي إلى هناك؟ لن أسمح أن تتم هذه الخطوبة.

أجاب الخادمة:

_ نعم، أستطيع، بالطبع يا جميلتي.

واقتربت نحوها ورفعت غرة شعرها المنسدلة على وجهها، وقالت:

_ ألا ترين أن هذه الأقراط تناسبني كثيرا؟

أجابت ماريا:

_ إنها غالية جدا، وأنا أحبها.

ردت الخادمة:

_ لكن هذا الجمال أكثر قيمة من كل الذهب والمجوهرات الموجودة على الأرض، سيتقدم لخطبتك أغني الأمراء، فما قيمة هذه الأقراط مقارنة بما ينتظرك؟

اقتنعت ماريا بكلام الخادمة وجرت الأمور كما خططت لها، حيث صارت فاتنة الجمال، وساءت حالة مريم أكثر فتساقط شعرها الجميل، واجتاحت التجاعيد وجهها، ولم تعد قادرة على النهوض من فراشها، وبعد أن كادت تتراجع عن فكرة خطبتها أقنعها عمها أن الوزير لا تهمه المظاهر أبدا، وهو مستعد لبذل كل ما بوسعه لشفائها، وطلب من الخادمة تجهيزها للحفل. لكن الأمر كان أكثر سوء مما توقعت فالجميع سخر من شكلها حتى من كانت تعتبرهم أصدقائها، وبينما كان كل من في الحفل مشغول بالثرثرة و الضحك، صعد الوزير على المنبر وقال:

أعيروني انتباهكم، وأسمعوا جيدا ما سأقول، لقد تعرفت قبل فترة على فتاة وقررت خطبتها كما تعلمون_ لكن يبدو أنني تسرعت وعليا أن أعيد النظر في الأمر.

ونظر لمريم بسخرية وقال:

_ أنا آسف يا مريم، لا يمكنني الزواج بعجوز عمرها ثلاثة وعشرون سنة...

• • •

رغم المعاناة التي تعرضت لها مريم، والفترة العصيبة التي مرت بها لم تنطفئ نار الغيرة في صدر ماريا، فكانت تحسدها على ما بقي في قلبها من قوة وثبات ورضا بالقدر، وعلى ما تحظى به من اهتمام ودعم، وتوعدت بأن تجعلها وحش مخيف يخشى الجميع النظر إليه.

فعادت مرة أخرى للنهر ولم تكتفي في هذه المرة بجرتين فحسب، بل أخذت ستة وبعد أن قامت بملأهم وميزت التي تحمل المياه المالحة بأشرطة بيضاء وطلبت من السائق حملهم ووضعهم في العربة اقتربت لغسل أطرافها ووجهها، وفجأة هبت

عاصفة قوية تبث الرعب في النفوس، فانفتحت الأشرطة وبعثرتها الرياح، ورغم أن السائق استطاع الإمساك بها، إلا أنه لم يتذكر بأي منها كانت مربوطة، وزاد توتره بعد سماعه صياح الخادمة بصوتها العالي المزعج وهي تسحب ماريا من ذراعه وتأمرها بالصعود للعربة بسرعة وإلا كانوا من الهالكين، فأعاد ربطها من غير مراعاة للأمر.

خرجوا من البلدة فرار، وكانت الرياح تلحقهم طلية الطريق كمفترس غاصب، وعند وصولهم للمنزل قالت الخادمة لماريا:

_ أصبحت أخشى على حياتي برفقتك، لا أستطيع أخذك إلى هناك مرة أخرى، لذا علي البحث عن عمل في مكان آخر، ربما أجد من يحتاج لهذا السر العظيم.

أخفت ماريا غضبها الشديد بابتسامة مزيفة وقالت:

_ سأبقى ممتنة لك طيلة حياتي، لكن لدي طلب أخير أبقى هذا المساء معنا لتقنعي مريم بشرب الماء و الاستحمام به، وأنا سأحضر لكما كل ما تحتاجان من طعام وماء للرحلة.

وبعد إلحاح طويل وافقت الخادمة على ذلك، واستطاعت إقناع مريم أن الاستحمام بالماء البرد مفيد لتقويم انحناء ظهرها، وقالت لها إنها أطافت له أعشاب مفيدة وإذا شربته دفعة واحدة ستشعر بتحسن كبير.

استحمت مريم وشربت من الماء رغم أنها وجدت طعمه مالح وكريه لكنها لم تناقش الأمر ولم تترك منه قطرة، معتقدة أن طعمه تغير بسبب الأعشاب التي أضافتها الخادمة.

أما ماريا التي لا تدخل المطبخ إلا من أجل الأكل، فقد قضت يوما كامل في تحضير الطعام، وكل ما كان يشغل بالها إيجاد طريقة تمنع بها الخادمة من الذهاب، فعقلها الصغير لا يمكن أن يتحمل وجود منافسة لها، خاصة وقد أصبحت ترى نفسها أجمل فتاة في المملكة، وبعد تفكر طويلا لم تجد حل غير إضافة لمسة أخيرة عل الطعام، رشة من السم القاتل.

وحين تأكدت من نجاح خطتها، قررت الاستمتاع بحمامها الأخير بمياه نهر الفتنة الساحرة وبعد أن أنهت الحمام حملت الجرة لشرب ما بقي منه ومن أول رشفة علمت أن هناك خطأ ما، لكن لم تستطيع أن توقف نفسها عن شربه و أكان قوة خارقة تتحكم في أفعالها. لم تفهم كيف حدث ذلك... وقفت أمام المرآة وكانت عبارة واحدة تتردد على مسامعها، العبارة التي قالها لها التاجر (خذي بالقدر الذي تحتاجين إليه فحسب، حتى لا تثيرين غضب الطبيعة... خذي بالقدر الذي تحتاجين إليه فحسب. حتى لا تثيرين غضب الطبيعة...)

• • •

وفي صباح اليوم التالي استيقظ والدها على صيحات مريم المخيفة، ركض للغرفة فوجدها جاثية على ركبتيها تمسح العرق على جسد ماريا المرمي على الأرض في حالة مزرية، وتحاول فهم الكلمات الغريبة التي كانت تتمتم بها.

فخرج مسرعا لإحضار الطبيب، وبعد معاينتها بساعات قليلة استعادت وعيها، لكن جمالها الفاتن بدأ يتلاشى يوما بعد يوم، ولم تستطيع تقبل فكرة عودتها كما كانت من قبل، ودخلت في حالة الاكتئاب.

وأخيرا شفيت مريم، وأصبحت أكثر جمالا مما كانت عليه من قبل، وعاد الوزير نادما، معتذرا عما فعله معها، طالبا منها فرصة أخرى لتصحيح أخطائه السابقة وإثبات حبه لها. فردت عنه قائلة:

_ أقبل اعتذارك، لكن لا يمكن أن أمنحك فرصة أخرى لتقرب مني، لن أقبل الزواج من شخص عديم المسؤولية مثلك، فرغم مكانتك وجمالك لكنك أجوف الجوهر، أنا أستحق شخص أفضل منك، شخص يؤمن أن جمال الوجه والجسد مؤقت أما الجمال الحقيقي هو جمال الروح.

كما تدين تدان

أعط، تأخذ... استر، تستر... إحترم، تحترم... لك مثل ما فعلت ولو بعد حين.

الدنيا ستدور، والمشاهد ستعاد، والأدوار ستتبدل، وسيسقى كل ساق بما سقى.

فكن منبعا عذبا لغيرك وسيرد لك الجميل يوما من حيث لا تدري...

ولا يظلم ربك أحدا.

حب أسود

قيل أنه في أحد أيام الخريف، اجتمع سرب من اليمام، فذكروا سوء حالهم وأجمعوا أمرهم على أن يهجروا الديار إلى ديار أخرى فيها عيشهم وهناؤهم، فاجتمعوا صباحا في أحد المروج القريبة ليكون مقر انطلاقهم جميعا، فلما حان وقت الذهاب تخلفت عنهم يمامة واحدة عز عليها ترك موطنها وأبت أن تفارقه، فلما أصرت على رأيها تركوها ومضوا، وبقيت وحيدة لا تهتدي إلى سبيل...

ويوما بعد يوم أصبح إيجاد الغذاء أمر في غاية الصعوبة بل أنه شبه مستحيل، وجف العشب المحيط بعشها ما جعلها عرضة لكل المفترسات... فقررت اليمامة المبيت على أعلى غصن في شجرة الصفصاف الشامخة، وبينما هي تغط في نوم عميق بعد يوم شاق بغتها سهم أحد الصيادين ولم تستطع تفاديه، ولحسن الحظ لم يكن جرحها قاتل ما سعدها على الهروب، لكنه ظل ينزف بشدة فخارت كل قواها ولم تعد قادرة على الطيران، فوقعت على الأرض وسرعان ما بدأت الحشرات تجتمع حولها وتمتص دمائها، فما عادت تتمنى غير موت رحيم يخلصها من ألمها ومعاناتها، وبينما هي كذلك دنا منها صقر ورفعها بمخالبه وحلق بها عاليا، كانت تظن أن هذه هي نهايتها، وأن لحظة الوداع قد حانت، لكن الصقر فاجأها بتصرفه وخالف كل توقعاتها حوله، وقال لها برقة ولطف:

_ سأهتم بك إلى أن يشفى جرحك.

لكن اليمامة لم تثق بكلامه وحاولت الهروب فأمسك بها مرة أخرى وأخذها للعش قائلا:

_ أنت مصابة وبحاجة للراحة والغذاء، لذلك إلزمي المكان وأعدك بأن أحميك من كل المخاطر وأوفر لك ما تحتاجين، كان كلامه معسولا ورغم هذا لم تشعر بالأمان معه، واستمرت محاولتها بالفرار لكن عبثا تحاول فقد كان يعيدها في كل مرة، وبموقف جميل منه تلوى الأخر استطاع أن يكسب قلبها وثيقتها، فأمنت له ووثقت به ورتاحت من عناء البحث عن الغذاء والخوف من الأعداء، وأصبحت تفتخر بصداقته أمام جميع الطيور، فكان بعضهم يحسدها على صديقها القوى، والبعض الأخر يحذرها منه وينصحها بالابتعاد عنه.

وفي إحدى ليالي الشتاء الباردة، تأخر الصقر عن العودة على غير عادته ما أثار قلق اليمامة عليه، فانشغل بالها وسيطرت الأفكار السيئة على عقلها، وما هي إلا ساعات حتى عاد إلى عشه وهو في حالة يرثى لها، حامت اليمامة حوله وسألته بخوف:

_ ماذا حدث تبدو متعب كثيرا؟ هل أنت بخير؟ أرجوك رد علي، لقد خفت أن يكون قد أصابك مكروه ما...

لم يرد الصقر بأي كلمة، ولم يحرك ساكنا، ثم باغتها على حين غرة وانقض عليها محيطا رقبتها بمخالبه، حاولت أن تتكلم ونفسها يكاد ينقطع ولم تردد سوى:

_ لماذا... لماذا... لقد وعدتني أن تحميني...

رد الصقر بصوت ساخر:

_ يالك من يمامة حمقاء، لقد قلت أني سأحميك من الأخطار ولكن ليس من نفسي... لا شيء دون مقابل، لقد احتفظت بك للأوقات العصيبة، كهذه تماما، عليك أن تعلمي أن لا أحد في هذه الدنيا يستحق ثقتك، لكن لم تعد لهذه النصيحة فائدة الآن... ثم ضغط على رقبتها بشدة وقتلها.

لا تثق...

أن كانت بداية الطريق سهلة ومغرية خذ الحضر جيدا في كل خطوة، وكن مستعدا لجميع الاحتمالات، حتى لا تصدم.

الخيبة تختبئ غالبا في نهاية الطريق.

الخاتمة

هل تعلم أن تقليد الآخرين ومقارنة حياتك بحياتهم، والخوف من انتقاداتهم وأحكامهم...كتم المشاعر وعدم التعبير عنها في الوقت المناسب...الكره، والحقد والحسد... التحسر على الماضي والخوف من المستقبل... العلاقات السامة والمؤذية...حمولة ثقيلة يجب عليك أن تتخلص منها قبل أن تقضي عليك، عش ببساطة، وتذكر جيدا قبل كل قول، أو رد... وقبل كل فعل، أو رد فعل... أنا لله وأنا إليه راجعون

ما الحياة إلا جسر عبور لدار الخلود، كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

دون تعقيد

نبيلة بوكحيل

الحياة رحلة قصيرة، خذها ببساطة...

تخلص من الفوضى والأشياء الغير ضرورية...إعتزل ما يؤذيك ....وتجنب إذاء غيرك... تقبل نفسك كما هي... عبر عن مشاعر بصدق ولا تتصنع ... لا تثق أكثر مما يجب ....لا تحب من لا يحبك... لا تحزن على ما فاتك توكل على الله ولا تقلق على شيء... سر في طريق واضح نحو هدفك ولا تقحم نفسك في متاهات معقدة.